معلومات البحث

الاستلام:2011/10/9
القبول: 2011/11/11
النشر: 2012/2/15

أصول المناهج الإسلامية في البحث العلمي

خالد أمحمد فرج الوحيشي، وان سحيمي وان عبد الله

Khalid Faraj M'hamed Wahishi, Wan Sahimi Wan Abdullah

أكاديمية الدراسات الإسلامية – جامعة ملايا – ماليزيا

khaledmfa@yahoo.com

ISSN 2231-8968

© 2012 Design *for* Scientific Renaissance All rights reserved

مقدمة

لقد كان للحضارة الإسلامية الفضل الأكبر في رقي الحضارة الإنسانية و تقدمها وازدهارها بحيث وصلت إلى ما وصلت إليه الآن من تقدم ورقي بفضل جهود علمائنا المسلمين.

إن الباحث في التراث الإسلامي لا يكل ولا يمل، فكلما غاص الباحث في أعماق هذا التراث ووجوب أحيائه، كلما استبان فضل السبق للعلماء المسلمين في اكتشاف كثير من النظريات والحقائق العلمية والمناهج التي يدعي الغرب اكتشافها .

بناء عليه سنحاول في هذا البحث توضيح المناهج التي أتبعها المسلمين في دراساتهم وأبحاثهم وسنقتصر على المناهج التي تعتبر بحق وليدة البيئة الإسلامية الخالصة، فهناك علوم خاصة بالمسلمين وحدهم، لم ينقلوا فيها عن أحد ممن سبقهم، كما أنهم تفردوا فيها لأنها تتصل بالعقيدة الإسلامية كالتوحيد والفقه وعلوم التفسير والحديث ومقارنة الأديان والتاريخ الإسلامي، فقد استخدم علماء المسلمين في هذه العلوم مناهج إسلامية صرفة، لم يتأثر علماء المسلمين فيها بمناهج من سبقهم بل هي مناهج إسلامية نتجت عن الخوض في العقيدة الإسلامية .

و من المتعارف علية أن أي علم من العلوم يتطلب استخدام منهج محدد تفرضه طبيعة تلك الدراسة، ولهذا فالمسلمون أنتجوا مناهج كانت وليدة البيئة الإسلامية، وكانت هذه المناهج أصيلة البيئة الإسلامية، وما تناوله

المسلمون من مواضيع وعلوم تخص العقيدة الإسلامية، وبالتالي كانت نتجت نتيجة للخوض في العقيدة الإسلامية مجموعة مناهج استخدمها المسلمون في توضيح آرائهم وأهدافهم.

أهداف الدراسة.

يهدف هذا البحث إلى أبراز المناهج الإسلامية التي استخدمها المسلمون في دراساتهم وبحوثهم والتي كانت وليدة البيئة الإسلامية، فكانت هذه المناهج أصيلة هذه البيئة الإسلامية .

أسباب اختيار الموضوع:

توضيح دور المسلمين وإسهاماتهم العلمية المختلفة في استخدام المناهج العلمية.

المنهج المستخدم في هذا البحث: من المعروف إن كل دراسة تتطلب استخدام منهج محدد تفرضه طبيعة الدراسة، عليه فأن المنهج التحليلي هو المنهج المستخدم في هذا البحث.

حدود الدراسة : حدود هذه الدراسة هي المناهج العلمية التي كانت وليدة البيئة الإسلامية الخالصة، والتي لم يتأثر المسلمون فهيا بآراء من سبقهم.

هيكلية البحث : سيتم تقسيم البحث مقدمة، وثلاثة مطالب رئيسية، وخاتمة ، هي:

المطلب الأول :مناهج علوم القرآن.

المطلب الثاني :مناهج علوم الحديث.

المطلب الثالث :المنهج الأصولي.

المطلب الأول: مناهج علوم القرآن

من المعروف أنه قد نشأت مجموعة من العلوم تتصل بالقرآن الكريم، وهي: (مباحث تتعلق بالقرآن الكريم من ناحية نزوله، وترتيبه، وجمعه، وكتابة قرآنه، وتفسير إعجازه، وناسخه ومنسوخة، ودفع الشبه عنه...)[1]، وكلُّ هذه العلوم مصدرها القرآن الكريم الذي حظي بعناية خاصّة عند المسلمين وهذا ما أكَّده السيوطي بقوله: ((اعتنى قوم بضبط لغاته، وتحرير كلماته، ومعرفة مخارج حروفه،وعدد كلماته المتشابهة وآياته المتمثلة فاعتني النحاة بالمعرب منه والمبني من الأسماء والأفعال، واعتني المفسرون بألفاظه...، والأصوليون بما فيه من الأدلة العقلية، والشواهد الأصلية

[1] محمد عبد العظيم الزر قاني، بدون تاريخ، مناهل الفرقان في علوم القرآن، مصر: مطبعة عيسي الحلبي، ص23 .

والنظرية مثل قوله: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾، فاستنبطوا منه أدلة على وحدانية الله ووجوده،...، وقدرته، وعلمه، وتنزيهه عما يليق به))[2] .

وما يعنينا من ذلك هو علم تفسير القرآن، ومناهج المسلمين في التفسير حيث تعددت طرائقهم نتيجة لاختلاف ثقافاتهم وعصورهم، والمقام هنا لا يتسع للحديث عن تاريخ التفسير وأشهر رجاله ومصنفاتهم، وشروط المفسر والعلوم التي ينبغي دراستها.

ولعل من المناهج التي استخدمها المسلمون في فهم وتفسير معاني وآيات القرآن الكريم، ما يعرف بمنهج فهم الكل من خلال الجزء، والجزء من خلال الكل، وهو المنهج الذي عرف عند المفسرين في تفسير القرآن من خلال مقارنة وتفسير آية بآية أخرى فتزداد وضوحاً في دلالتها أي أن يفسر القرآن بالقرآن وهو أحسن طرق التفسير عندهم حيث قالوا: ((إن أحسن الطرق في التفسير أن يفسر القرآن بالقرآن))[3] ، فمنهج فهم الكل من خلال الجزء أي فهم القرآن من خلال آية أو سورة والاستشهاد بموقف معين للتدليل على أن القرآن يؤيد ذلك الموقف، وهو في الحقيقة تفسير لتدعيم المواقف، ولعل هذا النوع من التفسير قد نشأ كما يري الدكتور (ياسين عربي) على يد المعتزلة حيث يقول: ((إن هذا النوع من التفسير قد نشأ وتحدد على يد المعتزلة الذين يؤسسون نظرياتهم ،...،من خلال آيات قرآنية محددة))[4]، كتفسيرهم لقوله تعالي: ﴿ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ﴾[5]، ((أي طريقي الخير والشر))[6]، حيث أتجه كلّ نابغة في فنّ أو داعية لمذهب، أو فكرة للاجتهاد في تفسير الآيات بما يوافق فنه، ويلاءم مشربه، ويناصر مذهبه، ولو كان بعيداً كل البعد عن المقصد الذي نزل من أجله القرآن[7] .

فهذا النوع من التفسير هدفه تأييد المذهب، أو تغليب مذهب أو فرقة على أخرى، وفيه تظهر الخلفية الثقافية، أو ثقافة المفسر والتي يقصد بها أثر الثقافة والموقف الفكري للمفسَّر على تفسيره، وهو ما يعرف عند علماء التفسير:

---

[2] جلال الدين السيوطي، بدون تاريخ، أعجاز القرآن، تحقيق: علي البجاوي، بيروت: دار الفكر، ص17-20 .

[3] الزركشي، بدون تاريخ، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل، القاهرة: دار التراث، ص175 .

[4] محمد ياسين عربي، (1989م)، تأسيس العلوم عند العرب، طرابلس: مطابع الوحدة العربية، ص162 .

[5] سورة البلد، الآية 10 .

[6] الزمخشري، بدون تاريخ، الكشاف، دار عالم المعرفة، ج4، ص213 .

[7] الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، ص55 .

((بالتفسير بالرأي ولم يؤلفها أصحابها إلا لتأييد أهوائهم والانتصار لمذاويقيهم ومواجيدهم ومن ذلك تفاسير المعتزلة))[8] .

لو نظرنا إلى هذا التفسير أي التفسير بالرأي لوجدنا أنه تفسير مذموم؛ لأنه يحمل آيات القرآن في بعض الأحيان أكثر مما تحتمل، لغرض تأييد موقف أو لتبرير مصلحة، وذلك يصرف الآيات القرآنية عما أنزلت من أجله أمَّا منهج فهم الجزء من خلال الكل فقد نشأ على يد المحاسبي*، كما يذكر ذلك ياسين عريبي فهو الذي: ((أسس نظرية في العقل والفهم من خلال النظر في القرآن ككل))[9]، حيث كان منهج المحاسبي في كتابة ماهية العقل استعراض الآيات القرآنية التي ورد فيها ذكر العقل، ومن خلال معنى العقل في تلك الآيات استنتج أن العقل غريزة، وأسس بذلك الاستنتاج نظريته عن العقل الذي هو عنده ((غريزة أودعها الله في أكثر خلقه لم يطلع عليها العباد بعضهم من بعض ولا أطلعوا عليها من أنفسهم برويه، ولا بحسّ، ولا ذوق، ولا طعم وإنما عرفهم الله إياها))[10].

أمّا منهج فهم الكل من خلال الجزء والجزء من خلال الكل في عملية واحدة فيرجع تأسيسه إلى محاولة الغزالي تفسير القرآن الكريم من خلال تفسير الآيات في ضوء السور، والسور في ضوء الآيات، وهو المنهج الذي أتبعه الغزالي في كتابه (جواهر القرآن) وذلك كتفسيره لآية الكرسي وسورة الفاتحة والإخلاص حيث يقول في تفسير الفاتحة: ((إذا تفكرت وجدت الفاتحة على إيجازها مشتملة على ثمانية مناهج، وأنه لا مكرر في القرآن فإن رأيت شيئاً مكرراً من حيث الظاهر، فانظر في سوابقه ولواحقه ينكشف لك مزيدَ الفائدة في إعادته))[11]، كما تعرض لتفسير آية الكرسي واعتبرها متضمنة لشرح الفاتحة وهنا يتضح لنا منهج الفهم الدائري عندما نفهم معنى آية من خلال سورة والسورة في ضوء تفسير آية واحدة كذلك من خلال النظر في القرآن على أنه لا مكرر فيه، وإنما تشابه الآيات لحكمة، تتكشف فائدة التكرار من خلال النظر في سياق الآيات سوابقها ولواحقها.

كما نجد أن الغزالي قسَّم آيات القرآن إلى قسمين: جواهر، ودرر.

---

[8] صبحي الصالح، (1983م)، مباحث في علوم القرآن،بيروت: دار العلم للملايين، ص294 .

* المحاسبي هو الحارث بن أسد عبد الله المحاسبي البصري، ولد في بغداد سنة 170هـ، احد أعلام التصوف، من مؤلفاته فهم القرآن ومعانيه، توفي في بغداد سنة 243هـ .

[9] محمد ياسين عريبي، تأسيس العلوم والمناهج عند العرب، ص162 .

[10] الحارث المحاسبي، (1982م)، العقل وفهم القرآن، تحقيق: حسين القوتلي، بيروت: دار الكندي، ص202 .

[11] الغزالي، (1988م)، جواهر القرآن ودرره، بيروت: دار الأفاق، ط2، ص38و39 .

القسم الأول : سماه الجواهر وفيه أحصَى سبعمائة وثلاثاً وستين آية ليدلل أن هذه الآيات تدور حول معنى واحد هو المعرفة بالله،وهو قسم علمي.

القسم الثاني: أسماه الدرر، وأحصى فيه سبعمائة وأحدى وأربعين آيةً؛ ليؤكد أن هذه الآيات تدور حول معنى الاستقامة على سواء الطريق، ولا تكون الاستقامة إلا بالعمل،حيث يشترك العلم والعمل؛ ليكونا أصل الإيمان العلم والإيمان[12].

هذه بعض إشارات عن علوم القرآن توضح المناهج التي اتبعها المفسرون، وهي مناهج أصيلة نشأت من طبيعة المادة موضع البحث ونقصد بها القرآن الكريم، فجاءت أو ظهرت كوكبة من التفاسير كلّ تفسير هو ابن منهج خاصّ به تولدّ نتيجة ظروف وأسباب ترتبط بمؤلفه.

ومن المناهج التي ارتبطت بهذا المنهج، منهج الوحي، وهو ما جاء على لسان الأنبياء والكتب المنزلة، التي تنبئ بالحقائق الغيبية وتهدي إلى الإيمان بالله، وترشد إلى العمل الصالح[13]، وهو المرجع الديني الذي يحقق سعادة الإنسان في الحياتين الأولى والآخرة، من منظور عقدي وشرعي، يلاءم العقل ويوافقه، ما كان عقلا سليماً من آفات الهوى، ورغائب الفساد، أما، أما منهج العقل فإنه يبحث في العلل والكيفيات، ويحدد المقاصد، وفقا للمصالح الموضوعية في منهج ذهني عملي يحقق تلك المقاصد، فهناك ملتقيات وقواطع بين المنهج الديني القائم على الوحي، والمنهج العقلي المجرد، ومن أبرز نقاط الإلقاء طلب الخير ودفع الشر، ومن أبرز ما يفترقان فيه، محدودية العلم العقلي لكون بشرياً، وسعة علم الوحي لكونه إلهيا، وهذا يؤدي إلى شر باطن، على حسب ما يقره الشرع من التفاوت في العلم وشتان بين العلم الجزئي المحدود للإنسان، والعلم المطلق لله تعالى، وهذا سبب الأسباب في التصادم بين أتباع النظر الفلسفي المجرد أو العلم المادي من العقلانيين والماديين، وبين إتباع الأديان.

لكن خصائص منهج الوحي في الإسلام التوافق مع العقل في كثير من الأطروحات والقضايا والمعالجات حتى ولو كانت من المغيبات مما لا يتصوره العقل تصوراً تاماً، فيقربها الوحي للعقل المحكوم بتجاربه الدنيوية المحصورة، وأفكاره الإنسانية الجزئية، لذلك نجد إستثناءات في آيات الصفات التي تصف الله تعالى بالعالم الكامل، تكرم العقل الإنساني، بالإطلاع على جزئيات من تلك المغيبات الكبرى، كقيام الساعة ومصير الكون يقول تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ

[12] المصدر نفسه، ص 52 .

[13] أحمد عروة، (1987م)، العلم والدين مناهج ومفاهيم، دمشق: دار الفكر، 139 .

بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ ﴾[14] فقوله تعالى ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ﴾– تقرر القاعدة الأصلية وهي قوله تعالى:﴿ وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ ﴾[15]، ويقرر الاستثناء ما جاء في قوله تعالى: ﴿ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾[16]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾[17]، ومن أجل أن العلم الإلهي مطلق ، وعلم الإنسان نسبي، وأن علم الله مستقل بذاته، وعلم الإنسان مستمد من علم الله، كانت الضرورة تقتضي بالرجوع إلى منهج الوحي، في استمرار المعلومات الغيبية، وكذلك في تصحيح المسيرة العقلية التي قد تنحرف فتحول الشر إلى خير، والخير إلى فساد، كما يحدث في بعض المذاهب الفكرية التي تمسخ الأخلاق وتبتدع عوضاً عنها المنافع والرغبات التي تلاءم بيئة من البيئات، بحيث تصبح الأخلاق مصطبغة بالمكان والزمان، وليست من حيث القيم، بل إن المنهج الإسلامي في الوحي دفع المسلمين إلى النهضة العلمية، وإخراج العرب من قوم لا يحسنون إحصاء ما لديهم وفق الأولويات الحسابية، إلى أعلام في الهندسة والجبر، ومن رواة الأساطير والخرافات، إلى موثقين للرواية سنداً ومتناً بما لا يناظره أي منهج استردادي في مصطلح التاريخ، وحولهم من مقدسين للظواهر الطبيعية قبل الإسلام إلى مفسرين لتلك الظواهر تفسيراً علمياً لا يذهب بأسرار القدرة الإلهية.

ومن خصائص هذا المنهج السماوي أنه يتسم بالشمولية في المفاهيم والقضايا التي يطرحها والمقاصد التي يرمي إليها، فهي تهم الإنسان في أية بيئة ، وفي كل عصر، انسجاماً مع عالمية دعوة الإسلام، ومن خصائص هذا المنهج أن يجمع بين البعدين الأرضي الذي يجنح إلى إشباع حاجات الجسد في اعتدال، ودون أضرار، وتزكية الروح بالإيمان ومكارم الأخلاق وهو بعد سماوي، فإذا كانت الجدلية المادية تقول بالصراع المادي في الإنسان، فإن الإسلام يقرر أن الصراع مزدوج، والنفس المهتدية هي التي تخرج من ذلك الصراع بالتوافق والانسجام وتوظف المطالب المادية في تحقيق المقاصد الروحية، يقول تعالى: ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾[18]، وهناك خصيصة مهمة في هذا المنهج، هي كونه يربط بين الإيمان والعلم والعمل، والإيمان الذي هو تصديق بالله وصفاته والمغيبات التي أنبأنا بها بطريق

[14] سورة البقرة، الآية 255 .
[15] سورة الأنعام، الآية 59 .
[16] سورة العلق، الآية 5 .
[17] سورة لقمان، الآية 34 .
[18] سورة الأعراف، الآية 32 .

الوحي، والعلم وهو ما دل عليه الوحي، وخلاصته تجارب العقل في توظيف مسلمات أو مقدمات للوصول بها إلى حقائق تتسم بالثبوت والتأثير، والعمل الذي يصطبغ بالصلاح ويمنع الفساد، قال تعالى: ﴿ قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ﴾[19].

المطلب الثاني: منهج علوم الحديث

لقد نشأت طائفة من العلوم التي تعتني بالنظر في صحة الأحاديث، وذلك من خلال النظر في الروايات، من حيث مطابقتها لأقوال الرسول صلى الله عليه وسلم وأفعاله، وكذلك اهتمت بالنظر في أحوال الرواة، وعلومهم وعصورهم،ورحلاتهم، وغاية هذه العلوم التأكد من صحة الروايات وصدق الرواة ونتيجة لذلك ظهر علمانِ، رئيسان يتفرعان إلى فروع كثيرة .

أولاً: علم الحديث رواية: ((ويقوم على النقل الدقيق لكلَّ ما أضيف إلى النبي صلى الله عليه وسلم من قول أو فعل، أو تقرير، أو صفة، ولكلّ ما أضيف من ذلك إلى الصحابة والتابعين))[20]

ثانياً: علم الحديث دراية: ((وهو مجموعة من المباحث والمسائل، يعرف بها حال الراوي، والمروي من حيث القبول والرد))[21] .

وأهم فروع هذين العلمين:

علم الجرح والتعديل: علم يبحث عن الرواة من حيث ما ورد في شأنهم مما يشينهم، أو يزكيهم بألفاظ مخصوصة[22].

علم الرجال: ويبحث في رواة الحديث، تاريخهم وكلّ ما يتعلق بشؤونهم، ونشأتهم، وشيوخهم وتلاميذهم[23] .

علم الناسخ والمنسوخ : ويبحث في الأحاديث المتعارضة التي لا يمكن التوفيق بينها، فيحكم على المتقدم بأنه منسوخ، والمتأخر بأنه ناسخ[24].

والجدير بالذكر أن البحث في تاريخ علوم الحديث من حيث تاريخها ونشأتها والرجال الذين ألفوا فيها أمر يخرج عن نطاق هذا البحث، ولكن المهم هو استخلاص طرائق المحدثين ومناهجهم في وزن الأحاديث، ورواتها وذلك حتى

---

[19] سورة يوسف، الآية 108 .

[20] صبحي الصالح، (1999م)، علوم الحديث ومصطلحه، لبنان: دار العلم للملايين، ط22، ص107 .

[21] صبحي الصالح، علوم الحديث ومصطلحه، ص 107 .

[22] المرجع نفسه، والصفحة نفسها .

[23] المرجع نفسه، ص 109 .

[24] المرجع نفسه، ص 113 .

نعرف مدي مساهمة المسلمين في تأسيس مناهج البحث العلمي، فعلوم الحديث ((قد اهتمت بالدرجة الأولى بالمطابقة بين أقوال الرسول صلى الله عليه وسلم وأفعاله وبين روايات الرواة من الصحابة والتابعين، وقد حدد لهذه المطابقة ثلاثة مناهج هي الاستقراء، والمعايشة، والفهم))[25]، فمنهج الاستقراء مثلا يتمُّ من خلال تتبع الروايات للوصول إلى الرواية المأخوذة عن الرسول صلى الله عليه وسلم، حيث طبق علماء الحديث منهج الاستقراء التام من خلال تتبع وفحص كل حديث روي عن الرسول صلى الله عليه وسلم عن طريق العنعنة بتتبع الرواية من راوي الحديث إلى آخر حتى تصل هذه الرواية إلى الراوي الذي أخذ الحديث عن الرسول صلى الله عليه وسلم مباشرة[26]، وقد طبق هذا المنهج عند جمع الحديث حيث أخذ الصحابة في جمعه بمنهج العنعنة أي أنهم كانوا يسألون الراوي عمن أخذت الحديث ؟ فيقول عن فلان عن فلان... إلى آخر الرواية حتى يصل إلى الراوي الذي سمع من النبي صلى الله عليه وسلم مباشرة.

إلى جانب المنهج الاستقرائي استخدم علماء الحديث منهج المقارنة والحذف، التي تتجلي في منهجهم لمعرفة صدق الراوي وضبطه لحديثه بحيث ((يعرف كون الراوي ضابطاً بأن تعتبر روايته بروايات الثقات المعروفين بالضبط والإتقان، فإن وجدنا روايته موافقة، ولو من حيث المعنى لرواياتهم، عرفنا حينئذ كونه ضابطاً، وإن وجدناه كثيرا المخالفة لهم عرفنا اختلال ضبطه، ولم يحتج بحديثه...))[27]، فبمقارنة الرواية موضوع النظر بغيرها من الروايات الموثوقة يمكن التعرف على مدي صحتها، وهذا هو منهج المقارنة، أما منهج الحذف والإسقاط يتمثل في حذف الرواية التي تثبت مخالفتها للروايات الموثوقة أي حذف الحديث الذي لم تثبت صحته.

كما وضع أئمة الحديث منهجاً، لمعرفة درجات الرواة، وتعرف صحة أحاديثهم وهو منهج الجرح والتعديل،حيث تشدد أئمة الحديث في تجريح الرواة وتعديلهم، ذلك؛ لأن ما يروى ليس من باب الأخبار والأقوال التي يتناقلها الناس، بل المروي مصدر من مصادر التشريع؛ لذلك حرصوا على صِحَّة نسبته إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فوضعوا مصطلحات يوصف بها الرواة وحددوا لهم مراتب ودرجات حيث اشترطوا في الراوي الذي تقبل روايته أن يكون: ((عدلاً ضابطاً لما يرويه وتفصيله أن يكون مسلماً بالغاً عاقلاً سالماً من أسباب الفسق، متيقظاً غير مغفل، حافظاً إن حدث من حفظه، ضابطا لكتابه إن حدث من كاتبه، وإن كان يحدث بالمعني اشترط فيه.أن يكون عالماً

[25] محمد ياسين عريبي، تأسيس العلوم والمناهج عند العرب، ص161 .

[26] المرجع نفسه، والصفحة نفسها .

[27] ابن الصلاح، (1989م)، مقدمة علوم الحديث، تحقيق: عائشة عبد الرحمن، القاهرة: دار المعارف، ص290 .

بما يحيل المعاني"[28]، فالجرح أو تجريح الراوي يختلف باختلاف الناس حيث يطلق بعضهم الجرح على أمور لا يعتبرها آخرون كذلك، وعليه اشترطوا التعليل في الجرح، وهو ما بين دقّة مقاييسهم ومناهجهم في معرفة الرواة وتحديد درجاتهم، ومعرفة ما يقبل أو يرفض، أما التعديل فيقبل من غير تعليل وذلك لكثرة أسبابه،كما حددوا ألفاظاً يوصف بها الرواة تجريحاً وتعديلاً أو تزكية فألفاظهم في التعديل هي : فلان قد روي الناس عنه، فلان ما أعلم به بأساً،ويقال للراوي ثقة، أو متقن، أو ثبت، أو حجة، أو حافظ أو ضابط، صدوق أو محله الصدق ويقال شيخ، ويقال صالح الحديث،أما ألفاظهم في التجريح فهي فلان لاشيء،فلان ليس بذاك القوى، فلان فيه أو في حديثه ضعف ويقال ليَن الحديث، ويقال متروك الحديث، أو ذاهب الحديث، أو كذاب[29]، وبهذا لم يغفل أئمة الحديث عن وضع مصطلحات دقيقة تميز راوٍ عن آخر، ونتج عن هذا التشدد في تجريح الرواة وتعديلهم ما يعرف " بسلسلة الذهب أو أصح الأسانيد، التي توافر فيها ما لم يتوافر في سواها من العدالة، والضبط، وسائر الصفات التي توجب الترجيح "[30].

بناء على ما تقدم فإن جهود المسلمين في وضع مناهج وطرق للحكم على الخبر المروي تعد غاية في الدقة والموضوعية، ووسيلة لتزكية الخبر المروي وما كانوا ليصلوا إلى هذه الدرجة من التزكية والقبول للأحاديث لولا وضع مقاييس صارمة للحكم على الراوي، والمروي، والتخلص من الأهواء والنزعات الشخصية للكشف عن الأخبار، والأحاديث الموضوعة، فخصُّوا الراوي والمروي بمناهج وطرائق؛ لتعرف صحَّة الأخبار، ومعرفة صدق رواتها، وذلك إيماناً منهم وتقديراً لحرمة الحديث النبوي باعتباره مصدراً من مصادر التشريع عند المسلمين فعملوا على تحري الصدق والأمانة، ولذلك لم يتساهلوا في وضع قواعد ومناهج هذا العلم الجليل والتي لم تكن مسبوقة حيث لم يحظَ بها علم من العلوم، ولا عرفها شعب من الشعوب قبل المسلمين الذين مارسوا عن طريقها المنهج التاريخي وتحليل النصوص، والآثار،ومنهج الفهم والمعايشة وقد أثمرت هذه المناهج عن إنتاج كُتب سميت بالصحاح وسلاسل الذهب في علم الرجال حيث يروي الخبر متواتراً راوٍ عن راوٍ إلى أن تصل الرواية إلى الراوي الذي أخذ عن النبي عليه السلام.

كما ظهر علم التاريخ من هذه البيئة الدينية، حيث برزت تراجم الأشخاص وطبقاهم عن علم الرجال في الحديث، وبدأ تدوين السير والمغازي النبوية . والذي تمثل في دراسة حياة الرسول صلى الله عليه وسلم، وسيرته وأعماله وغزواته وأعمال وسير الصحابة، ثم تطرق إلى أعمال المشاهير من العلماء والفقهاء والخلفاء بالإضافة إلى

---

[28] المرجع نفسه، ص 288 .

[29] أبو حاتم الرازي، بدون تاريخ، الجرح والتعديل، بيروت: دار الكتب العلمية، ص37 .

[30] محمد جمال الدين القاسمي، بدون تاريخ، قواعد التحديث، القاهرة: دار إحياء الكتب العربية، ص80 .

الكتابة عن الفتوحات الإسلامية، وتقييم الخراج والجزية وغير ذلك من الموضوعات التي كانت مثار الاهتمام، حيث استعار هذا العلم في بدايته من مناهج الإسناد أداة نقدية علمية استخدمت في تنقية وغربلة الأخبار التاريخية منذ نشأتها الأولى، كما أثرت هذه المنهجية ذاتها على علوم اللغة والشعر، حيث كان التشدد في رواية الشعر والرواية اللغوية والأدبية، ونظراً لأن التاريخ يعتمد على الوثائق التي تعني كل ما خلفه السلف من أفكار وأفعال، لذا فإنه استلزم فحص هذه الوثائق، وتحليلها وإخضاعها لمنهج علمي صارم للتأكد من مدى سلامتها حيث تمر هذه العملية بمرحلتي النقد الخارجي والداخلي، ويتمثل الأول في إثبات صحة الوثيقة، وأصالتها وتحقيق نصوصها، وسلامتها من التشويه والتحريف، وبعدها عن تحقيق الأهواء والنزعات والمنافع بحيث يتم تحقيق مصدر الوثيقة ونصوصها الأمر الذي يتطلب جهداً مضاعفاً وثقافة واسعة[31] أما الثاني وهو النقد الداخلي والذي يستهدف صدق النص التاريخي في موضوعه ومضمونه، وهذا النقد يمر بمرحلتيه الإيجابية والسلبية، ففي المرحلة الإيجابية ينبغي على الباحث التحلي بالموضوعية واستبعاد أية فكرة تستحوذ على عقله مع تحليل مفردات النص وصولاً إلى المعنى الحقيقي له، كذلك تحليل النص من أجل النظر في علاقة السياق العام بدلالة الكلمات، أما الخطوة الأخيرة فهي الربط بين مفردات هذا النص لتحديد معناه الحقيقي، ومعرفة غرض المؤلف، وهذا النقد الداخلي الإيجابي يتلخص في عمليتي تحليل وتركيب النص لبيان علاقة جزئياته ببعضها البعض وتحديد المعنى الحقيقي له[32] ، أما الناحية السلبية فتتمثل في الكشف عن الظروف والملابسات التي واكبت سلسلة العمليات العقلية، التي مر بها الأصل حتى دونه صاحبه ووصل إلى الباحث، ويقوم هذا النقد على قاعدتين: أولاهما الشك المنهجي في كل راوٍ مع عدم الثقة في كل رواية، وثانيهما لا يكفي فحص الوثيقة في جملتها، بل يجب فحص كل قضية فيها على حِده، وحتى إذا وصل الباحث إلى صدق وأمانة صاحب الوثيقة، فإن عليه أن يمحص الظروف التي قد تؤدي إلى عدم الدقة، أو الانخراط في الخطأ والوهم بسبب عدم سلامة الناحية العقلية أحياناً أو عدم إتباع صحة الشروط العلمية في الملاحظة، أو عدم إتباع الأمانة العلمية في النقل[33].

لذا يمكن الحكم على أن التاريخ علم إسلامي أصيل نشأ ونما داخل البيئة الإسلامية، ولم يكن بسب عوامل دخيلة أو غربية بل كان وليداً شرعياً للمناهج الإسلامية الصرفة، بدليل أنه العلم الوحيد الذي لم يستفد من ترجمات علوم الأوائل، لكنه استفاد من الأداة النقدية لعلوم الحديث ونشأ دقيقاً منذ وهلته الأولى.

---

[31] ينظر محمد دسوقي،(1984م)، مناهج البحث في العلوم الإسلامية، دار الأوزاغي،ص 67-69 .

[32] ينظر محمد دسوقي، مناهج البحث في العلوم الإسلامية، ص 72 .

[33] ينظر عمر التومي الشيباني، (1989م)، منهج البحث الإجتماعي، منشورات مجمع الفاتح للجامعات، ص 106 .

المطلب الثالث: المنهج الأصولي

يُعَدُّ المنهج الأصولي أحد مناهج البحث عند المسلمين،وهو منهج يتفق مع الحاجة الإنسانية العلمية[34]، بمعني أنه منهج علمي غايته استنباط الأحكام الفقهية من النصوص الشرعية، وقد عرف القياس الأصولي بأنه: ((إلحاق واقعة لا نصّ على حكمها بواقعة أخرى ورد نصّ بحكمها لتساوي الواقعتين في علّة الحكم))[35]، أي هو قياس من حالة جزئية على حالة جزئية أخري تشبهها بوجه من الوجوه، وانتقال من جزئي إلى جزئي آخر وهو ما يشبه قياس الغائب على الشاهد ومعناه ((أن يوجد حكم في جزئي معين واحد فينتقل حكمه على جزئي آخر يشابهه بوجه ما))[36]

وقد نشأت أوليات هذا المنهج لدي فقهاء الصحابة الذين تصدوا للإفتاء والقضاء بين الناس بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم حيث كانت ((الأحكام في زمن النبي صلى الله عليه وسلم تؤُخذ عنه بما يوحي إليه من القرآن، وما يبينه بسنته الشريفة ولما لحق صلى الله عليه وسلم بالرفيق الأعلى، قام كبار الصحابة من بعده بحمل مهمة الإفتاء والقضاء بين الناس ،...، وما كانوا؛ ليقولوا في فتواهم من غير قيد ولا ضابط...))[37]، نتيجةً لذلك اضطروا إلى الاجتهاد والقياس كلما عرضت لهم حادثة أو حالة مجهولة الحكم وأرادوا معرفة حكمها فإنهم يبحثون عن حالة تشبهها؛ لينقلوا حكمها إلى الحالة الجديدة فكان الصحابة رضوان الله عليهم ((يقيسون الأشباه بالأشباه منها، ويناظرون الأمثال بالأمثال فإن كثيراً من الواقعات من بعده صلوات الله وسلامه عليه لم تندرج في النصوص الثابتة، فقاسوها بما ثبت، وألحقوها بما نصّ عليه بشروط في ذلك الإلحاق، وتصحيح تلك المساواة بين الشبيهين أو المثلين حتى يغلب على الظن أن حكم الله تعالى فيهما واحد، وصار ذلك دليلاً شرعياً بإجماعهم عليه، وهو القياس))[38] ، أي أن الصحابة مارسوا الاستدلال بالكتاب والسنة في منهج محدد حيث قاسوا الحالات التي لم ترد بشأنها أحكام في الكتاب والسنة بحالات تشبهها من الكتاب والسنة، وألحقوها بحكمها وبعبارة أخرى إنهم كانوا كلما ظهرت حادثة

---

[34] ينظر علي سامي النشار، (1984م)، مناهج البحث عند مفكري الإسلام، بيروت: دار النهضة العربية، ص 100

[35] عبد الوهاب خلاف، (1985م)، علم أصول الفقه، الكويت: دار القلم، ص52 .

[36] الغزالي، معيار العلم ، ص145 .

[37] شعبان إسماعيل، (1981م)، علم أصول الفقه وتاريخه ورجاله، الرياض: دار المريخ، ص 20 .

[38] ابن خلدون، (1989م)، المقدمة، تحقيق: عبد الواحد وافي، بيروت: دار الكتب العلمية، ص 356 .

جديدة وأرادوا معرفة حكمها فإنهم يلجؤون إلى كتاب الله، فإن لم يجدوا فيه مبتغاهم فإنهم يلجئون إلى السنة فإن لم يجدوا فيها الحكم فإنهم يجتهدون ويقيسون الحالة الجديدة بما يشبهها من النصوص الشرعية.

ويمكن القول إن البواكير الأولى لنشأة المنهج الأصولي، الذي تطور ونضج فيما بعد حيث بلغ مرحلة وضع القواعد والأسس، ثم نُظُم الاستدلال التي تمت على يد الشافعي، هو يعد بحق واضع حجر الأساس لعلم أصول الفقه[39]، وينطوي المنهج الأصولي على مجموعة من العمليات الفكرية التي يمارسها المجتهد للوصول إلى الحكم، وفي ذلك يقول الشافعي: ((كلّ ما نزل بمسلم ففيه حكم لازم، وعلى سبيل الحقّ فيه دلالة موجودة، وعليه إذا كان فيه بعينه حكم وجب اتباعه، وإذا لم يكن فيه بعينه (أي حكم لازم) طلب الدلالة على سبيل الحقّ فيه بالاجتهاد والاجتهاد القياس))[40]

كما أن المسلمين استخدموا القياس الأصولي أو ما يعرف بقياس الغائب على الشاهد، فقد ارجع الأصوليون القياس إلى نوع من الاستقراء العلمي الدقيق المبني على فكرتي العلية وقانون الاطراد في الحوادث، فالأولى تتلخص في أن لكل معلول علة، فحكم التحريم في الخمر معلول بالإسكار، أما الثاني فتفسيره أن العلة الواحدة تنتج معلولاً متشابهاً إذا أوجدت تحت ظروف متشابهة ، أي أن علة الأصل موجودة في الفرع، فإذا وجدنا الإسكار في الخمر وجدنا التحريم، ثم وجدنا الإسكار في أي شراب آخر جزمنا بوجود التحريم فيه[41] .

لذلك يمكن اعتبار المنهج الاستدلالي وليد الحضارة الإسلامية، فهو ثمرة جهود الفقهاء والأصوليين والمتكلمين أو العلماء في جو كان زاخراً بانطلاقة نزعة علمية، حاولت التوفيق بين العقل والنقل ، متخذة من تعاليم الدين ركيزة للانطلاق .

وبذلك تتجلّى مقدرة المسلمين على إبداع مناهج علمية وصياغتها صياغة دقيقة للبحث كما تجلّت في وضعهم لأسس المنهج النقلي، والمنهج التاريخي من خلال وضعهم لقواعد منهج علوم الحديث الذي يعد منهجاً شاملاً لكونه يبحث في حال الراوي والمروي السند والمتن، من حيث تاريخ حياة الراوي وعصره وعمره، وزمن أخذ الرواية،ونوعية الرواية هل هي كتابة أو مشافهة، وذلك إنما يدلّ على دقّة المسلمين في وضع المناهج ودقّة مناهجهم

[39] ينظر محمد الخضري، (1989م)، أصول الفقه، تونس: دار المعارف، ص6 .

[40] الشافعي، (1939م)، الرسالة، تحقيق: أحمد شاكر، مصر، ص477 .

[41] ينظر علي سامي النشار، مناهج البحث عند مفكري الإسلام، ص 112 .

كما وضعوا سُنن وقواعد منهج الفهم والتحليل، وطبقوه في علومهم من خلال علوم القرآن في فهم النصوص وتفسيرها؛ وكذلك في معرفة الراوي في الحديث وفهمه .

الخاتمة :

إن المتتبع لكلَّ ما أوردناه يجد وبصورة جلية لا تدع مجالاً للشك أن هذه المناهج التي استخدمها المسلمون هي مناهج إسلامية خالصة، وهذه المناهج هي وليدة البيئة الإسلامية الصرفة، كما أن هذه المناهج التي ذكرناها ترتب عليها استخدام مناهج أخري كالمنهج الاستقرائي والمنهج التاريخي والمنهج الاستدلالي وغيرها، وقد توصل الباحث إلى نتائج منها .

1_ استخدم المسلمين مناهج أسلامية خالصة كمناهج علوم القرآن، ومناهج علوم الحديث التي كانت وليدة البيئة الإسلامية .

2_ انبثق عن هذه المناهج مناهج أخرى كالمنهج الاستدلالي والمنهج الاستقرائي والتي كانت هي الأخرى وليدة البيئة الإسلامية الخالصة .

3_ يعتبر علم التاريخ علم إسلامي أصيل، نشأ ونما داخل البيئة الإسلامية، ولم يكن بسبب عوامل دخيلة أو غربية بل كان وليداً شرعيا للمناهج الإسلامية .

4_ أتجه علماء المسلمين إلى الخوض في أسرار الدين، وخبايا القرآن، مما أحدث قطيعة مع نظريات العقل القديمة، وأنتج جديداُ في مجال المناهج والعلوم، اعتبرت الأساسيات الأولى للنهضة الغربية الحديثة .

المراجع

أولاً- القرآن الكريم .

ثانياً- المراجع العربية .

1- محمد الزر قاني، بدون تاريخ ،مناهل الفرقان في علوم القرآن ،مصر: مطبعة عيسي الحلبي.

2- جلال الدين السيوطي، بدون تاريخ، أعجاز القرآن الكريم، تحقيق علي البجاوي، بيروت، دار الفكر .

3- الزركشي، بدون تاريخ، البرهان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل، القاهرة: دار التراث .

4- محمد ياسين عريبي، (1989م)، تأسيس العلوم عند العرب، طرابلس: مطابع الوحدة العربية .

5- الزمخشري ، بدون تاريخ، الكشاف، ، دار عالم المعرفة .

6- صبحي الصالح، (1983م)، مباحث في علوم القرآن، بيروت: دار العلم للملايين .
7- صبحي الصالح، (1999م)، مقدمة علوم الحديث، القاهرة: دار المعارف .
8- الحارث المحاسبي، (1982م)، العقل وفهم القرآن، تحقيق: حسين القوتلي، بيروت: دار الكندي
9- الغزالي، (1988م)، جواهر القرآن ودرره، ط2، بيروت: دار الأفاق .
10- أبن الصلاح، (1989م)، مقدمة علوم الحديث، تحقيق: عائشة عبد الرحمن، القاهرة: دار المعارف .
11: أبو حاتم الرازي، بدون تاريخ، الجرح والتعديل، بيروت: دار الكتب العلمية .
12- محمد جمال الدين القاسمي، بدون تاريخ، قواعد التحديث، القاهرة: دار أحياء الكتب العربية .
13- علي سامي النشار، (1984م)، مناهج البحث عند مفكري الإسلام، بيروت: دار النهضة العربية .
14- عبد الوهاب خلاف، (1985م)، علم أصول الفقه، الرياض: دار المريخ .
15- شعبان إسماعيل، (1981م)، علم أصول الفقه وتاريخه ورجاله، الرياض: دار المريخ.
16- ابن خلدون، (1993م)، المقدمة، تحقيق: عبد الواحد وافي، بيروت: دار الكتب العلمية .
17- محمد الحضيري، (1989م)، أصول الفقه، تونس: دار المعارف .
18- الشافعي، (1939م)، الرسالة، تحقيق: أحمد شاكر، مصر .
19- عمر التومي الشيباني، (1989م)، منهج البحث الإجتماعي، منشورات مجمع الفاتح للجامعات.
20_ محمد دسوقي،(1984م)، مناهج البحث في العلوم الإسلامية، دار الأوزاغي .
21_ أحمد عروة، (1987م)، العلم والدين مناهج ومفاهيم، دمشق: دار الفكر .